عشر أسس تربوية
في أعظم وصية
من الله أوصى بها نبيه

تأليف

د. بركة بنت مضيف بن علي الطلحي

عام ١٤٣٦هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمدلله الذي خلق الإنسان من سلالة من طين، ثم جعل نسله من نطفة في قرار مكين، ثم خلق النطفة علقة، ثم خلق العلقة مضغة، فخلق المضغة عظاماً، ثم كسا العظام لحماً، فجعله في أحسن تقويم، فتبارك الله أحسن الخالقين، ثم هداه النجدين، فكان الخلق فريقين؛ فريق في الجنة، وفريق في السعير.

وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، إلها واحداً جل عن المثيل والنظير، وتعالى عن الشريك والظهير، وتقدس عن مشابهة من لا يملك مقدار قطمير، فليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

وأشهد أن مُحَّداً عبده ورسوله، وخيرته من خلقه، وأمينه على وحيه، وحجته على عباده، أرسله رحمة للعالمين، وقدوة للعاملين، ومحجة للسالكين، وحجة على العباد أجمعين، فهدى به من الضلالة، وعلم به من الجهالة، وأعز به بعد الذلة، وفتح برسالته أعيناً عمياً، وآذاناً صماً، وقلوباً غلفاً، فبلغ الرسالة وأدى الأمانة، ونصح الأمة، حتى وضحت شرائع الأحكام، وظهرت شرائع الإسلام، وعز حزب الرحمن، وذل حزب الشيطان، فصلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً مزيداً. أما بعد:.

فان الله سبحانه وتعالى شرع لعباده ما يصلح به شأنهم، ووضح للإنسان مسيرته" من حين خروجه إلى هذه الدار إلى حين استقراره في دار القرار، وقبل ذلك وهو في الظلمات الثلاث كانت أحكامه القدرية جارية عليه، فلما انفصل عن أمه تعلقت به أحكامه الأمرية، وكان المخاطب بها الأبوين أو من يقوم مقامهما في تربيته، والقيام عليه حتى إذا بلغ حد التكليف؛ تعلقت به الأحكام، وأخذ في التأهب لمنازل السعداء أو دار الأشقياء، فتطوى به مراحل الليالي والأيام إلى الدار التي كتب من أهلها ، فإذا انتهى به السير إلى آخر مرحلة أشرف منها على المسكن الذي عمر له قبل إيجاده، فهناك يضع عصا السفر عن عاتقه ويستقر في دار العدل مأواه أو دار السعادة مثواه"(١).

ومن رحمته بخلقه أن أنزل كتبه، وأرسل إليهم رسله، وختم المرسلين بسيدهم أجمعين مُحَّد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي بلغ رسالة ربه، ونصح لأمته حتى تركهم على البيضاء؛ ليلها كنهارها، لم يترك طائراً يقلب جناحيه في السماء، إلا وذكر لأمته منه علماً، وخص الأمور العظيمة بوصايا جليلة؛ كأنها وصية مودع، وجاء ذكر هذه الوصايا في القرآن الكريم، والسنة المطهرة، وإن أعظم تلك الوصايا وأشملها تلك الوصية العظيمة التي تعم جميع الخلق وتحيط كل شؤونهم وتشمل جميع مراحل حياتهم منذ الصغر حتى انتهاء الحياة؛ إنها الوصية

(١)تحفة المودود بأحكام المولود، لابن القيم الجوزية (ص: ٥). (بتصرف يسير).

التي أخبر عنها عَبْدُاللهِ بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بقوله: " مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى وَصِيَّةِ مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّتِي عَلَيْهَا خَاتِمَةُ أَمْرِهِ فَلْيَقْرَأْ: ﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾ (١)"إِلَى قَوْلِهِ ﴿ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾"(٢).

هذه الوصية تحوي أعظم الأسس التربوية التي تنير لأهل الاختصاص طريقهم في التربية والتعليم، وكذلك تهدى الأجيال إلى الصراط المستقيم، والدين القويم على امتداد العصور، وتقلب الأحوال، وتغير وسائل وأهداف التربية والتعليم، وبها يصل مربي الأجيال بإذن الله إلى خاتمتها الجامعة، وهي صراط الله المستقيم الذي أمر سبحانه بإتباعه ونهي عن مخالفته وإتباع السبل التي تفرق الجهد، وتشتت الجماعة، وهذا الصراط هو الغاية التي يرجو كل مربٍ ناصح الوصول بالجيل إليها، فهو غاية ومنتهى صلاح كل جيل.

لذا استخرت الله (**بعد الاستشارة**) في المشاركة في ملتقى مهم وعظيم؛ خاصة في هذا الوقت الذي تنوعت فيه مصادر المعلومات التربوية، فكل يعرض ما لديه من تجارب وخبرات البشر في إعراض عما اختاره الله دستوراً لهم، ومنهجاً تربوياً كاملاً شاملاً لكل الخلق، في هذا الوقت يأتي هذا الملتقى المبارك، والذي تزداد أهميته في كونه على المنهج التربوي القرآني، **وهو: ملتقى التربية بالقرآن – مناهج وتجارب، وقد جعلت مشاركتي في المحور الثالث: التربية بالقرآن (الآثار والنتائج) في ضوء السيرة النبوية** ببحث في أهم الأسس التربوية الواردة في آيات الوصايا العشر [١٥١، ١٥٢، ١٥٣] من سورة الأنعام، والتي تعرف بوصية مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي عليها خاتمه ووسمه **بـ[عشر أسس تربوية في أعظم وصية من الله أوصى بها نبيه]**.

وأسأل الله أن يتقبله مني وأن يبارك في جهود القائمين على هذا الملتقى وأن يرزقنا جميعاً الإخلاص.

أولاً: أهمية الكتابة في هذا الموضوع وأسباب اختياره:

التربية هي الأساس الذي يبنى عليه مستقبل الأمم، فكل أمة تريد التقدم والازدهار في مستقبلها، فلابد

---

(١) سورة الأنعام[١٥١].

(٢)رواه الطبراني في المعجم الكبير للطبراني (ج١٠ /ص ٩٣/ رقم ١٠٠٦٠) والبيهقي في شعب الإيمان (ج١٠ /ص ٣٠٨ر/قم٧٥٤٠)وقد ضعفه الألباني والإسناد كل رجاله ثقات ما عدا مُحَمَّد بن فضيل بن غزوان صدوق رمي بالتشيع كما قال الحافظ وقال الترمذي:" «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ»" وهو هنا من باب الاستئناس بالتسمية فقط ولا يبنى عليه حكم شرع ، وإنما الأحكام والفوائد على الآيات، وما يتعلق بها من تفسير بالقرآن الكريم أو السنة المطهرة وأقوال أهل العلم.

أن تولي التربية جل اهتمامها، لذلك اعتنى الله عز وجل بهذا الأمر أيما عناية، بأن أوصى بها في كتابه وعلى لسان رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهي ما يطلق عليها أهل العلم: **الوصايا العشر**، لذلك، فإن كل تربوي لم يعرف هذه الوصايا، ولم يعلم بما فيها من الخير والنفع، لايعرف حقيقة التربية ولا يعد عمله إلا كرماد بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً، لذلك فإن أهمية الكتابة في هذه الوصايا ببحث يبرز عظمها للمربين ولأبناء الأمة عامة، وينير بها طريقهم ويهديهم بها إلى صراط الله المستقيم، وإلى سبيله القويم،لهو من الأهمية بمكان؛ لأنها جاءت في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وعلمها للأمة من لا ينطق عن الهوى، لذلك رأيت أن أسلط الضوء على أهم أسس التربية والتعليمية التي جاءت في هذه الوصايا.

ثانياً: أسباب اختيار هذا الموضوع:

هذا الموضوع مهم جداً في مجال التربية والتعلم والدعوة، لذلك فإن أسباب الكتابة فيه من منظور تربوي تزداد أهميةً، ولعل من أهمها:

١. إبراز اهتمام الكتاب والسنة بالتربية والتعليم.

٢. تقديم دراسة بحثية في آيات الوصايا العشر؛ لتكون نبراساً للمربين، والأجيال يرجعون إليها ويستنيرون بها في مجال تخصصهم.

٣. إثراء المكتبة الإسلامية بالبحوث التربوية المؤصلة من كتاب الله وسنة نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

٤. ثم أني لم أقف على كتابة تبرز ما في هذه الوصايا من منظور تربوي.

ثالثاً: أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى:

١. إبراز اهتمام الإسلام بالإنسان من صغره حتى موته.

٢. بيان عناية الإسلام بالأجيال، وتربيتهم على الفضائل في العقيدة والعبادة والأخلاق والسلوك بما يحقق لهم السعادة في دنياه وأخراه.

رابعاً: تساؤلات البحث:

س١: هل اهتم القرآن بالتربية؟

س٢: ما أهمية التربية والتعليم والدعوة في الشريعة الإسلامية وعند المسلمين؟

س٣: ما أهم الأسس التربوية في الوصايا العشر من سورة الأنعام،وكيف يمكن ربطها بحياة المسلم؟

خامساً: مصطلحات الدراسة

- **أسس هي:** الأسس جمع أس و": الأُسُّ: أصل البِناء، وكذلك الأساسُ، والأَسَسُ مقصورٌ منه. وجمع الأُسِّ إساسٌ مثل عُسّ وعِساسٍ، وجمع الأَساسِ أُسُس مثل: قَذالٍ وقُذُلٍ، وجمع

الأَسَسِ آساسٌ مثل سببٍ وأسبابٍ. وقد أَسَّسْتُ البناء تأسيسًا. وقولهم: كان ذلك على أُسِّ الدهر، وأَسِّ الدهر، وإِسِّ الدهر، ثلاث لغاتٍ، أي على قدم الدهر"(١).

"وأسَّست داراً: بنيتُ حُدُودَها، ورفعت من قواعدها".(٢)

إذن الأسس هي القواعد الأصلية في أساس البناء.

- **تربوية** ؛يعود أصل كلمة التربية في اللغة إلى الفعل (رَبَا) أي زاد ونما ، وهو ما يدل عليه قوله تعالى ﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴾(٣).

كما أن كلمة **تربية** مصدر للفعل (ربَّى) أي نشَّأَ و نَمَّى ، وقد ورد هذا المعنى في قوله تعالى ﴿ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾(٤) في قوله عز وجل﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴾(٥).

وهذا يعني أن كلمة التربية لا تخرج في معناها اللغوي عن دائرة النمو و الزيادة والتغذية والتنشئة"(٦) وهي لا تختلف كثيراً عن المعنى الاصطلاحي وهو :"علم يبحث في الوسائل التي تكفل التربية الصحيحة للطفل خُلقيًّا ونفسيًّا وعلميًّا، والبلوغ به إلى الكمال الخاصّ به، ويبحث في النظم التربويّة نشأتها وموضوعها وتطوُّرها والغاية منها(٧).

- **الوصية**: في اللغة: العهد، وأوصى الرجل ووصى توصية:عهد،وتأتي الوصية أيضاً بمعنى الفرض، ومنه قوله تعالى﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ ﴾(٨) أي يفرض لكم.

والوصية شرعاً:ما يوصي به المرء أهله وذويه وأقاربه عندما ينزل به حدث الموت أو يستشعره، وقيل: إن الوصية، وصيتان : وصية الأحياء للأحياء وهي أدب وأمر بمعروف ونهي عن منكر وتحذير من زلل وتبصرته

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري (ج٣ /ص ٩٠٣) و تهذيب اللغة للأزهري الهروي (ج١٣ / ص٩٦) ومعجم ديوان الأدب للفارابي (ج٤ /ص ١٨٠).

(٢)كتاب الأفعال، لابن القَطَّاع الصقلي (ج٢ /ص ٦٥) و لسان العرب، لابن منظور (ج١٤ /ص ٣٠٦)

(٣) سورة الحج: [٥]

(٤) سورة الإسراء:[٢٤]

(٥) سورة الشعراء:[١٨]

(٦) معجم اللغة العربية المعاصرة، لأحمد مختار (ج٢ /ص ٨٥٢)

(٧) العين، للفراهيدي (ج٧ /ص ٣٣٤)

(٨) سورة النساء:[١١]

بالعمل الصالح، ووصية الأموات للأحياء عند نزول الموت، بحق يجب عليهم أداؤه ودين يجب عليهم قضاؤه.

والمراد هنا النوع الأول، ولا تصدر الوصية إلا من الأعلى مرتبة إلى من هو أدنى منه منزلة، فهي من الله ﷻ إلى عموم البشر، كما ورد في الكتب السماوية المنزلة، وبخاصة القرآن الكريم، ومن الأنبياء عليهم السلام إلى من بعثوا إليهم من بني البشر، ومن الخلفاء والملوك إلى ولاة العهد والعمال والولاة والأمراء وما إليهم ليعرفوهم سبل الرشاد والواجبات التي عليهم، والحقوق التي لهم، والطرق السليمة القويمة التي ينبغي أن يسيروا عليها في تصريف أمور الناس في الحياة بكافة أشكالها، ومن الآباء والمربين إلى الناشئة والصغار؛ حتى يرشدونهم ويوجهونهم التوجيه السليم.

وهذه الوصية جمعت أموراً، وهي من الله إلى نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أمته، ومن العلماء والمربين من هذه الأمة إلى الأجيال والناشئة فيها.

وعلى هذا؛ فإن معنى هذا العنوان: عشر قواعد أساسية عهد الله بها إلى عباده فيها في آيات الوصايا العشر، فيها الكفاية لتطوير علم التربية وتقويم وسائله وتنميتها.

سادساً: حدود الدراسة:

تقتصر هذه الدراسة على الجوانب التربوية التي جاءت في الوصايا العشر في الآيات[١٥١، ١٥٢، ١٥٣] من سورة الأنعام مع الأدلة التي تفسر معناها وتبين مبناها، وأقوال أهل العلم والتفسير واستخلاص الدروس والفوائد التربوية منها.

سابعاً: الدراسات السابقة:

١- معالم أصول التربية الإسلامية من خلال وصايا لقمان لابنه ، بحث اكاديمي، تأليف: عبدالرحمن بن مُحَمَّد عبد المحسن الأنصاري، قسم التربية بكلية الدعوة و أصول الدين، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الناشر :مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة :السنة الثامنة والعشرون – ١٤١٧هـ – ١٤١٨هـ[١]. وهذا البحث يقتصر على تربية الأبناء في وصايا لقمان لابنه.

٢- أسس تربية الأبناء من خلال سورة لقمان–دراسة موضوعية، للباحثة جهاد الجزئرية، وهو بحث نشر في موقع ملتقى أهل التفسير[٢]، وهو أيضاً يقتصر على التربية من خلال سورة لقمان.

وهناك بعض الدراسات والكتابات حول الموضوع أو قريبة بجامع كونها دراسات تربوية من القرآن والسنة، ولكنها تختلف عن هذه الدراسة من حيث الموضوع وتحديد الآيات والمحتوى.

(١)[نقلا عن موقع: شبكة انا المسلم للحوار الإسلامي ، www.muslm.net].
(٢)نقلا عن موقع [vb.tafsir.net].

ثامناً: منهج البحث:

اعتمدت على المنهج الاستقرائي التحليلي للنصوص الواردة في آيات الوصايا العشر، واستنباط ما فيها من أسس تربوية وقرنتها بذكر من توجه إليه، ودعمت الفوائد التربوية المستفادة بالأدلة من الكتاب والسنة، واعتمدت على الصحيح من الأحاديث وعزوت الآيات إلى السور والأحاديث إلى كتبها بذكر المراجع والكتاب ورقم الحديث حسب المطلوب.

والحقت البحث بفهرس للمراجع وآخر للموضوعات.

❊.❊.❊

خطة البحث

المقدمة:

وتتضمن ؛ أهمية الكتابة في هذا الموضوع وأسباب اختياره، وأسباب اختيار هذا الموضوع، وأهداف الدراسة، وتساؤلات البحث، ومصطلحات الدراسة، وحدود الدراسة، والدراسات السابقة، ومنهج البحث.

وثلاثة فصول :

الفصل الأول: أسس تربوية عقدية،

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أسس تربوية في توحيد الربوبية.

المبحث الثاني: أسس تربوية في توحيد الألوهية.

المبحث الثالث: أسس تربوية في توحيد الله بصفاته.

الفصل الثاني: أسس تربوية أخلاقية وسلوكية،

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: أسس تربوية في بر الوالدين.

المبحث الثاني: أسس تربوية في المحافظة على الأرواح.

المبحث الثالث: أسس تربوية في اجتناب الفواحش.

المبحث الرابع: أسس تربوية في الأمانة وآداء الحقوق إلى أهلها.

الفصل الثالث: أسس تربوية منهجية،

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أسس تربوية في لزوم السنة.

المبحث الثاني: أسس تربوية في التحصين ضد البدع.

المبحث الثالث: أسس تربوية في صد الشبهات.

الخاتمة

الفصل الأول: أسس تربوية عقدية

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول:

أسس تربوية في توحيد الربوبية.

أول المهام وأعظم المهمات؛ التربية على التوحيد، لذلك بدأ الله به في أعظم وصية بلغها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للخلق من الوصايا العشر قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ ﴾(١) فبدأ الله سبحانه وتعالى في أول هذه الوصايا العظيمة بتوحيد الربوبية، فذكرهم بربهم الذي له الفضل عليهم بتربيتهم بالنعم ، وذلك لما كانوا يعتقدونه ويقرون به من توحيد الربوبية الذي يلزم منه إقرارهم بما أنكروه بأقوالهم وأفعالهم واعتقاداتهم من توحيد الألوهية، فحتى فرعون الذي ادعى الربوبية كان يعرف أن الرب الحق الذي خلق الخلق، وتفضل بالنعم هو الله، وإنما جحد ذلك تكبراً وعلواً كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾(٢) لذلك قال موسى عليه السلام لفرعون عندما سئل عن رب موسى وهارون، ﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَـٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾(٣) فدله على آياته العظيمة التي تدل على عظم خالقها. ثم قال له منكراً عليه إنكار ما علمه يقينًا: ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَـٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَـٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴾(٤) وأقر كفار قريش بأن الله هو الرب الخالق لجميع المخلوقات، قال تعالى عن جوابهم: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾(٥)

و " الرب، هو المربي لجميع العالمين -وهم من سوى الله- بخلقه إياهم، وإعداده لهم الآلات، وإنعامه عليهم بالنعم العظيمة، التي لو فقدوها، لم يمكن لهم البقاء. فما بهم من نعمة، فمنه تعالى.

وتربيته تعالى لخلقه نوعان: عامة وخاصة.

---

(١) سورة الأنعام[١٥١].

(٢) سورة النمل[١٤].

(٣) طه: [٤٩ - ٥٠].

(٤) سورة الإسراء [١٠٢].

(٥) سورة المؤمنون: [٨٦ – ٨٧].

فالعامة: هي خلقه للمخلوقين، ورزقهم، وهدايتهم لما فيه مصالحهم، التي فيها بقاؤهم في الدنيا.

والخاصة: تربيته لأوليائه، فيربيهم بالإيمان، ويوفقهم له، ويكمله لهم، ويدفع عنهم الصوارف، والعوائق الحائلة بينهم وبينه، وحقيقتها: تربية التوفيق لكل خير، والعصمة عن كل شر. ولعل هذا المعنى هو السر في كون أكثر أدعية الأنبياء بلفظ الرب. فإن مطالبهم كلها داخلة تحت ربوبيته الخاصة الدالة على" انفراده بالخلق والتدبير، والنعم، وكمال غناه، وتمام فقر العالمين إليه، بكل وجه واعتبار".(١)

وقد ذُكِر الرب في أول سورة من كتاب الله، بل أول آية منها، وهي ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾(٢)
"وهو الإقرار والاعتراف بأن الله تعالى هو الخالق الرازق المحيي المميت النافع الضار المدبر لجميع الأمور." (٣)
وهذا الأساس في التربية لابد منه، وهو وإن كان لا يغني ولا يقبل دون توحيد الألوهية إلا أنه لابد من تربية الأجيال عليه، وتعليمهم إياه، وصد الشبهات التي تعارض تحقيقه؛ خاصة في هذا العصر الذي انتشر فيه الإلحاد والشرك في توحيد الربوبية فضلاً عن توحيد الألوهية، فتجد من يصدق مدعي الغيب من الكهنة والسحرة والشيوخ الذين يدّعون علم الغيب أو التصرف في الكون أو في الخلق والرزق، والنفع والضر، وانتشر بين الناس الجهل، وادعو في بعض الأشخاص الألوهية مثل ما حصل من النصارى، وتابعهم على ذلك طوائف ممن ينتسبون إلى الإسلام، فادعوا في الصالحين الربوبية؛ فلزم مع هذه المتغيرات أن يربى الناشئة وتربى النفوس على توحيد الله في ربوبيته و ألوهيته وأسمائه وصفاته، وتحصين الأجيال ضد المعتقدات الفاسدة المنتشرة، التي تهلك الأجيال وتغير الدين، وتعبث بتوحيدهم، لذلك؛ فإن هذه الوصية العظيمة من الله لخلقه بدأت بتقرير هذا الأساس في أولها ونهت عما يضادها من الشرك في توحيد الربوبية والألوهية، فقد يقع الشرك في توحيد الربوبية كما يقع في توحيد الألوهية، لذلك يجب العناية والرعاية بهذا الأساس المتين والأصل الأصيل الذي إذا صلح وصلح معه بقية أنواع التوحيد استحق صاحبه الجنة بإذن الله تعالى، وإذا فسد، ففساد ما دونه من باب أولى.

فالإقرار به لا يكتفى، فلابد مع الإقرار من مطابقة الأقوال للأفعال، وكذلك الاعتقاد، وهي وصية الله التي وصى بها خلقه.

❊.❊.❊

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، للشيخ عبد الرحمن ابن سعدي: (ص: ٣٩).

(٢) سورة الفاتحة: :[٢]

(٣)الصواعق المرسلة الشهابية على الشبه الداحضة الشامية، للنجدي (ص: ٣٠٨).

المبحث الثاني:

أسس تربوية في توحيد الألوهية.

توحيد الألوهية هو الذي وقع فيه النزاع بين الأنبياء وأممهم ، وهو الذي أنكره الكفار﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا ﴾[١] وقالوا:﴿ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ۝٥ وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ۝٦ مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ ﴾[٢] لذلك كان من أول الوصايا العشر التي وصى الله بها خلقه، الوصية بتوحيد الألوهية والتحذير مما ينقض التوحيد أو ينقصه بأي نوع من أنواع الشرك،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ ﴾[٣]"وذلك أن المشركين سألوا، وقالوا: أي شيء الذي حرم الله تعالى؟ فقال عز وجل:﴿ قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ ﴾ ، أقرأ ﴿ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡ ﴾ حقاً ويقيناً لا ظناً وكذباً كما تزعمون، فإن قيل: ما معنى قوله: ﴿ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ ﴾.

قال الزجاج: "يجوز أن يكون هذا محمولاً على المعنى، أي: أتل عليكم تحريم الشرك، وجائز أن يكون على معنى: أوصيكم ألا تشركوا". [٤] أي:" قل يا مُحَمَّد –لهؤلاء المشركين الذين أشركوا و عبدوا غير الله، وحرموا ما رزقهم الله، وقتلوا أولادهم وكل ذلك فعلوه بآرائهم وتسويل الشياطين لهم، ﴿ قُلۡ ﴾ لهم ﴿ تَعَالَوۡاْ ﴾ أي: هلموا وأقبلوا:﴿ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ ﴾ أي: أقص عليكم وأخبركم بما حرم ربكم عليكم حقاً لا تخرصاً، ولا ظناً، بل وحياً منه وأمراً من عنده: وتقول العرب: أمرتك ألا تقوم.

وفي الصحيحين من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «أتاني جبريل فبشرني أنه من مات لا يشرك بالله شيئاً من أمتك، دخل الجنة… » [٥]

وفي بعض المسانيد والسنن عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « يقول الله تعالى: يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني فإني أغفر لك على ما كان منك ولا أبالي، ولو أتيتني بقراب الأرض

---

(١) سورة الأعراف:[٧٠]

(٢) سورة ص:[٥ – ٧]

(٣)سورة الأنعام:[١٥١]

(٤) نقلاً عن معالم التنزيل، للبغوي،(ج٢ /ص ١٧٠)

(٥) رواه البخاري : كتاب الرقاق، (ج٨/ ص٩٤/رقمه ٦٤٤٣) ومسلم: كتاب الإيمان، (ج١/ ص٩٥/رقمه٩٤)

خطيئة أتيتك بقرابها مغفرة ما لم تشرك بي شيئاً... »[١] .

ولهذا شاهد في القرآن، قال الله تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[٢]"[٣].

و﴿ شَيۡـًٔاۖ ﴾[٤] :نكرة جاءت في سياق النفي، فتفيد العموم، أي : جميع أنواع الشرك، وجميع أنواع المشرك بهم مع الله عز وجل.

قال ابن سعدي:"وحقيقة الشرك بالله: أن يعبد المخلوق كما يعبد الله، أو يُعَظَم كما يعظم الله، أو يصرف له نوع من خصائص الربوبية والإلهية. "[٥]

فالتوحيد الذي جاء به الرسول؛ إنما يتضمن إثبات الإلهية لله وحده؛ بأن يشهد ألا إله إلا الله،و لا يعبد إلا إياه، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يوالي إلا لله، ولا يعادي إلا فيه، ولا يعمل إلا لأجله، وذلك يتضمن إثبات ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات، قال تعالى:﴿ وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[٦]. وقال تعالى:﴿ وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ ﴾[٧]. وهذا في القرآن كثير.

وأقام في المدينة عشر سنوات يدعو إلى بقية الشرائع، ومع ذلك لم يهمل الدعوة إلى التوحيد؛ بل كان يدعو إليه ويصحح للناس عقائدهم، ويسد ذرائع القدح فيه، حتى أنه ينهاهم عن الألفاظ الموهمة المشاركة بين الله وخلقه مثل قول: « ماشاء الله وشئت». فيقول: قولوا: « ماشاء الله وحده» [٨].

وحذر مما ينقض التوحيد أو ينقصه حتى وهو في مرض الموت، فعن "عَائِشَةَ، وَعَبْدَاللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ

---

(١) رواه الترمذي ت شاكر، كتاب: أبواب الدعوات، (ج٥/ ص٥٤٨/رقمه ٣٥٤٠) وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (برقم١٢٧).

(٢)سورة النساء[٤٨، ١١٦]

(٣)تفسير ابن كثير (٣/ ٣٦٠).

(٤)سورة الأنعام:[١٥١]

(٥)تيسير الكريم الرحمن (ص: ٢٧٩).

(٦) سورة البقرة: [١٦٣]

(٧) سورة الزخرف:[٤٥]

(٨) رواه ابن ماجه كتاب: الكفارات، (ج١/ ص٦٨٤/رقمه:٢١١٧)، والنسائي في «السنن الكبرى» كتاب: عمل اليوم والليلة،(ج٩/ ص٣٦٢/رقمه١٠٧٥٨).، وأحمد (ج١/ص٦٠٧، رقمه:٢٥٦١) وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ٢٦٣)رقم١٣٦).

رضي الله عنهما ،قَالاَ: لَمَّا نَزَلَ بِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَإِذَا اغْتَمَّ بِهَا كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ، فَقَالَ وَهُوَ كَذَلِكَ: «لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى اليَهُودِ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ» يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا). [١]

والتربية على التوحيد من أعظم الأسس التربوية في حياة المرء السلم، وذلك أن الله بعث من أجله الرسل، وأنزل من أجله الكتب، وهو فحوى دعوة جميع الأنبياء عليهم السلام، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[٢]فلابد من تكرار تعلم التوحيد والتربية عليه وألا يأمن المسلم من الوقوع فيما يناقضه، فهذا إبراهيم الخليل سيد الحنفاء يقول: ﴿ وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ۝٣٥ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[٣] خاف من الوقوع في عبادة الأصنام مع المنزلة العظيمة التي أنزله الله إياها، ومع أنه قاوم الشرك وكسر الأصنام بيده، وتعرض لأشد الأذى في سبيل ذلك، حتى ألقي في النار، ومع ذلك خاف على نفسه من الوقوع في الشرك، لأن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن، والحي لا تؤمن عليه الفتنة، ولهذا قال بعض السلف: "ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم؟"[٤] ، فإبراهيم خاف على نفسه الوقوع في الشرك لما رأى كثرة وقوعه في الناس، وقال عن الأصنام: ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾[٥].

فيجب على المربين من الوالدين والمعلمين والكتاب والإعلاميين أن يجتهدوا في نشر التوحيد وكشف الشبهات التي تحاك له ولأهله، وأن يقدموا تعليمه للأجيال على كل تعليم، وذلك لتقديم الله له قبل جميع العبادات والأخلاق.

فكما سبق ذكر قول ابراهيم الخليل وخوفه من الشرك فكيف بنا في هذا الزمن الذي ضعف فيه الإيمان، وانتشر الشرك، والشبهات، وانحرف الناس عن الدين إلا من رحم ربي، وأصبحت وسائل الإعلام تتنافس على تربية الأجيال المسلمة. والله أعلم.

❊.❊.❊

---

(١) رواه البخاري، كتاب: الصلاة، باب الصلاة في البيعة (ج١/ ص٩٥رقمه/٤٣٥)، ومسلم، كتاب:المساجد ومواضع الصلاة، (ج١/ ص٣٧٧رقمه/ ٥٣١).

(٢) سورة النحل:[٣٦]

(٣) سورة إبراهيم: [٣٥ – ٣٦].

(٤) الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥/ ٤٦).

(٥)سورة إبراهيم: [٣٥ – ٣٦].

المبحث الثالث:

أسس تربوية في توحيد الله بأسمائه وصفاته.

إن لله عز وجل الأسماء الحسنى والصفات العلى الدالة على عظمته، و"معتقد أهل السنة في أسماء الله وصفاته، يقوم على أساس الإيمان بكل ما وردت به نصوص القرآن والسنة الصحيحة إثباتاً ونفياً، فهم بذلك:

١. يسمون الله بما سمى به نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لا يزيدون على ذلك ولا ينقصون منه.
٢. ويثبتون لله عز وجل الصفات ويصفونه بما وصف به نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل.
٣. وينفون عن الله ما نفاه عن نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مع اعتقاد أن الله موصوف بكمال ضد ذلك الأمر المنفي.

فأهل السنة سلكوا في هذا الباب منهج القرآن والسنة الصحيحة، فكل اسم أو صفة لله سبحانه وتعالى وردت في الكتاب والسنة الصحيحة، فهي من قبيل الإثبات فيجب بذلك إثباتها.

وأما النفي فهو أن ينفى عن الله عز وجل كل ما يضاد كماله من أنواع العيوب والنقائص مع وجوب اعتقاد ثبوت كمال ضد ذلك المنفي.

قال الإمام أحمد: لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا نتجاوز القرآن والسنة"[(١)].

وحتى لا تزل قدم بعد ثبوتها بانتشار ما يخالف ذلك المنهج القويم لأهل السنة والجماعة، كان لابد من تأسيس هذا المعتقد في قلوب الناشئة، ويعد هذا من أعظم الأسس التربوية التي يتربى عليها المسلم وفيها تعظيم لله في ذاته وصفاته؛ لأن"تعظيم صفات الله سبحانه وتعالى من تعظيم الله، وتعظيمُها من التّوحيد، لأنه تعظيمٌ لله سبحانه وتعالى، وأمّا عدمُ تعظيمِها فإنّه تنقُّصٌ للتّوحيد، لأنّه تنقُّصٌ لله عزّ وجلّ [(٢)].

فتعظيم الله من أعظم الأسباب المانعة من الوقوع في معاصيه، وهي دليل متابعة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتعظيمه سبحانه وتعالى في ربوبيته، وألوهيته، وأسمائه وصفاته؛ ولا يستقيم دين المسلم بغير تعظيمه لله سبحانه وتعالى وإجلاله .

---

(١)العرش للذهبي (١/ ٣٠).

(٢) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد للشيخ: صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان (ج٢ /ص ٢٢٦)

قال إبراهيم النخعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ :" كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار ": فهذا فيه تأديب السلف لأولادهم ولذراريهم على تعظيم الله – جل وعلا – فإن الشهادة والعهد يجب أن يقترنا بالتعظيم لله – جل وعلا – والخوف من لقائه، والخوف من الظلم، فكانوا يؤدبون أولادهم على ذلك حتى يتمرنوا وينشئوا على تعظيم توحيد الله وتعظيم أمر الله ونهيه".[١].

وقد ذكر الله عز وجل في الوصايا العشر بعض صفاته الدالة على عظمته وقدرته وكماله، وهي ربوبيته لجميع الخلق، وأنه الرازق، ومن عظمته أنه حرم الشرك به، فهو الغني عن الند والشريك والمعاون والولد والظهير ، وأوصى بالأخلاق الحسنة النافعة لخلقه في دنياهم وأخراهم، وأمرهم بإقامة العدل وحفظ الأمانات وحقوق الخلق وحقوق الخالق مع غناه عن خلقه سبحانه وتعالى.

"والذنوب تضعف في القلب تعظيم الرب جل جلاله، وتضعف وقاره في قلب العبد ولا بد، شاء أم أبى، ولو تمكن وقار الله وعظمته في قلب العبد لما تجرأ على معاصيه، وربما اغتر المغتر، وقال: إنما يحملني على المعاصي حسن الرجاء، وطمعي في عفوه، لا ضعف عظمته في قلبي، وهذا من مغالطة النفس؛ فإن عظمة الله تعالى وجلاله في قلب العبد تقتضي تعظيم حرماته، وتعظيم حرماته يحول بينه وبين الذنوب، والمتجرئون على معاصيه ما قدروا الله حق قدره، وكيف يقدره حق قدره، أو يعظمه ويكبره، ويرجو وقاره ويجله، من يهون عليه أمره ونهيه؟ هذا من أمحل المحال، وأبين الباطل، وكفى بالعاصي عقوبة أن يضمحل من قلبه تعظيم الله جل جلاله، وتعظيم حرماته، ويهون عليه حقه...وعلى قدر تعظيمه لله وحرماته يعظمه الناس، وكيف ينتهك عبد حرمات الله، ويطمع أن لا ينتهك الناس حرماته أم كيف يهون عليه حق الله ولا يهونه الله على الناس؟ ... ولهذا قال تعالى في آية سجود المخلوقات له:﴿ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍ ﴾[٢] فإنهم لما هان عليهم السجود له واستخفوا به ولم يفعلوه، أهانهم الله، فلم يكن لهم من مكرم بعد أن أهانهم الله، ومن ذا يكرم من أهانه الله؟ أو يهن من أكرمه الله؟."[٣]

"قال بعض السلف: ليعظم وقار الله في قلب أحدكم أن يذكره، عندما يستحي من ذكره، فيقرن اسمه به كما تقول: قبح الله الكلب والخنزير والنتن ونحو ذلك، فهذا من وقار الله؛ ومن وقاره أن لا تعدل به شيئًا من خلقه لا في اللفظ بحيث تقول: والله وحياتك، مالي إلا الله وأنت، وما شاء الله وشئت...فهذا كله من عدم وقار الله في القلب، ومن كان كذلك ، فإن الله لا يلقي له في قلوب الناس وقاراً ولا هيبةً، بل يسقط وقاره وهيبته في قلوبهم، وإن وقروه مخافة شره، فذاك وقار بغض لا وقار حب وتعظيم، ومن وقار الله أن يستحي من اطلاعه على سره وضميره فيرى فيه ما يكره ومن وقاره أن يستحي منه في الخلوة أعظم مما

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد، للشيخ: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (ص: ٥٦٦)

(٢) سورة الحج: [١٨]

(٣) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم (ص: ٦٩)(مختصراً).

يستحي من أكابر الناس"[١].

فلابد من تربية الأجيال وتنشئتهم على توقير الله والإيمان بأسمائه وصفاته، وأن له الأسماء الحسنى والصفات العلى، وأن تعدد الصفات تدل على عظمة الذات الموصوفة بها، والإيمان بجميع الأدلة التي جاءت في ذلك، وهذه التربية الإيمانية التي جاءت في وصية الله لخلقه، وهي لب الدين وقلبه الذي بفقدانها يموت الدين، ولا يبقى لصاحبه منه شيء ، فلا دين بلا إيمان بالله رباً وإلهاً موصوفاً بصفاته العظيمة التي جاءت في كتابه وسنة نبيه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَوتزداد أهمية هذا التعاهد والتربية الإيمانية في هذا الزمن الذي كثر فيه التهاون من المسلمين في تعلم التوحيد، والتربية عليه؛ اعتماداً على الموروث عن الآباء والأجداد و المعلومات التي أقل أحوالها اختلاط الخير بالشر، إن لم تكن شر محضاً، فيجب على المربين من الوالدين والمعلمين في جميع المراحل تعاهد هذه الأمور مع الناشئة، وتعليمهم التوحيد الصحيح، وتحصينهم ضد الشبهات والشهوات، قبل فوات الأوان ووقوع المخالفات وفي حينها لا ينفع ولات حين مناص، بل الواجب تكرار التعليم اقتداء بالنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ حيث كان يتعاهد الصحابة بتعليمهم أمور التوحيد، ولا يترك فرصة إلا ذكرهم بالتوحيد، طوال حياته، وحتى عند موته كان يوصي بالتوحيد ، ويحذر مما ينقضه أو ينقصه من الشرك ووسائله، من مشابهة اليهود والنصارى في أفعالهم المشينة. والله أعلم.

..*

(١) الفوائد، لابن القيم:(ص: ١٨٧) (مختصراً).

الفصل الثاني : أسس تربوية أخلاقية وسلوكية،

وفيه أربعة مباحث

المبحث الأول:

أسس تربوية في بر الوالدين.

قرن الله عز وجل حق الوالدين بحقه سبحانه وتعالى في مواضع من كتابه، قَالَ تَعَالَى:﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ [1] وقَالَ تَعَالَى:﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۖ ﴾ [2]

وقَالَ النَّبِيّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ:«أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ؟» ثَلاَثًا، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ »[3]؛ لأن حقهما أعظم الحقوق؛ ولأن لهما من الفضل والإحسان ما ليس لغيرهما؛ وذلك من القيام بالمؤونة والتربية والتعب الجسمي والفكري من أجل راحة الولد، وقد أكد الله على مزيد الاهتمام بالوالدين عند الكبر لتغير الحال عليهما بالضعف؛ لأنهما في هذه الحال قد صارا كلاً عليه، فيحتاجان أن يلي منهما في الكبر ما كان يحتاج في صغره أن يليا منه، وأن يقابلهما بالقول الموصوف بالكرامة، وهو السالم عن كل عيب، فقال تعالى:﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ [4] ووصف الله حال البار لوالديه بالطائر الذي يضع جناحيه تذللاً وهيبة، وهذه استعارة في الشفقة والرحمة بهما ، وقرن هذا الوضع الدال على الخضوع والتواضع بالدعاء لهما جزاء ما بذلا في التربية له في الصغر، قال السمرقندي :"لَوْ لَمْ يَذْكُرِ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ حُرْمَةَ الْوَالِدَيْنِ وَلَمْ يُوصِ بِهِمَا، لَكَانَ يَعْرِفُ بِالْعَقْلِ أَنَّ حُرْمَتَهَا وَاجِبَةٌ، وَكَانَ الْوَاجِبُ عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَعْرِفَ حُرْمَتَهُمَا، وَيَقْضِيَ حَقَّهُمَا، فَكَيْفَ وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي جَمِيعِ كُتُبِهِ، فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ وَالْفُرْقَانِ، وَقَدْ أَمَرَ فِي جَمِيعِ كُتُبِهِ وَأَوْحَى إِلَى جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ وَأَوْصَاهُمْ بِحُرْمَةِ الْوَالِدَيْنِ

---

(١)سورة الإسراء:[٢٣].

(٢)سورة الأنعام: [١٥١].

(٣) رواه البخاري: كتاب الشهادات(ج٣/ص ١٧٢/رقمه٢٦٥٤)،ومسلم: كتاب:الإيمان ((١/ ٩١/رقمه٨٧)

(٤) سورة الإسراء:[٢٣].

وَمَعْرِفَةِ حَقِّهِمَا، وَجَعَلَ رِضَاهُ فِي رِضَا الْوَالِدَيْنِ، وَسَخَطَهُ فِي سَخَطِهِمَا". [١]

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: " ثلاث آيات نزلت مقرونة بثلاث آيات لا يقبل واحدة منها بغير قرينتها، وذكر منهن، قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ﴾[٢]،فقال: فمن شكر الله ولم يشكر والديه لم يقبل منه". [٣]

وقال رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ أَبَرَّ الْبِرِّ صِلَةُ الْوَلَدِ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ» [٤].

فالتربية على بر الوالدين ومعرفة عظيم حقهما، وصلة الرحم التي كانوا يصلونها، وكذلك صلة أهل ودّهما، من أسباب حفظ الله للمجتمع المسلم من التفكك والتشتت والكراهية؛ لأن الود يورث وداً، والبغض يورث بغضاً، والدين الإسلامي جاء بحفظ المجتمع، ووقايته من كل سبب يفككه أو يَحْرِفه عن الطريق المستقيم، ورتب الحقوق حسب أعظمها وأولها بالعناية والرعاية والاهتمام، ومن أعظم الحقوق حق الوالدين، وأولهما: حق الأم ثم حق الأب، ففي الحديث عن أبي هريرة قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: «أُمُّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أُمُّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أُمُّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَبُوكَ»[٥] فهذا الحديث يدل على أن محبة الأم والشفقة عليها ينبغي أن تكون ثلاثة أمثال محبة الأب، لذكر النبي صلى الله عليه وسلم الأم ثلاث مرات وذكر الأب في الرابعة فقط.

ولا يختص بر الوالدين بأن يكونا مسلمين، بل إن كانا كافرين يبرهما ويحسن إليهما إذا كان لهما عهد، فعن أسماء قالت: قدمت أمي وهي مشركة في عهد قريش ومدتهم إذ عاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم مع أبيها، فاستفتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: إن أمي قدمت وهي راغبة أفأصلها؟ قال:" نعم صلي أمك"[٦].

ومن الإحسان إليهما والبر بهما إذا لم يتعين الجهاد ألا يجاهد إلا بإذنهما. فعن عبد الله بن عمرو قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَاسْتَأْذَنَهُ فِي الجِهَادِ، فَقَالَ: «أَحَيٌّ وَالِدَاكَ؟» ، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ:

(١)تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين (ص: ١٢٤).

(٢)سورة لقمان:[١٤]

(٣)غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب، للسفاريني الحنبلي (ج١ /ص ٣٩٣).

(٤)رواه مسلم: كتاب البر والصلة والآداب (ج٤/ص ١٩٧٩ /رقمه ٢٥٥٢).

(٥)رواه البخاري: كتاب الآداب (ج٨/ص٢/رقمه٥٩٧١) ومسلم : كتاب البر والصلة والآداب (ج٤/ص ١٩٧٤/رقمه٢٥٤٨).

(٦) رواه البخاري: كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها(ج٨/ص ٤/رقمه٥٩٧٩) ومسلم: كتاب الزكاة (ج٢/ ص٦٩٦/ رقمه١٠٠٣).

«فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ» "[١].

وهذه التربية المحمدية التي جعلت الجيل الأول، جيل مثالي ؛ لأنه تربى على الكتاب والسنة،و"لَنْ يَأْتِيَ آخِرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بِأَهْدَى مِمَّا كَانَ عَلَيْهِ أَوَّلُهَا"[٢]" فيجب على المربين اتخاذ القرآن دستورًا تربويًا، ومنهجًا علميًا، يربون عليه الأجيال وينير لهم الطريق بسلوك الصراط المستقيم.

والله أعلم

❋.❋.❋.

(١) رواه البخاري، باب الجهاد بإذن الوالدين (ج٤/ص٥٩/رقمه ٣٠٠٤) و مسلم، كتاب البر والصلة والآداب (ج٤/ص١٩٧٥/رقمه٢٥٤٩).

(٢) الاعتصام (ص: ٣٤٩).

المبحث الثاني:

أسس تربوية في المحافظة على الأرواح.

ومما أوصى الله به عباده في الوصايا العشر؛ الوصية بالمحافظة على الأرواح، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾[١] قال القرطبي:" الإملاق الفقر: أي لا تئدوا- من الموءودة – بناتكم خشية العيلة، فإني رازقكم وإياهم. وقد كان منهم من يفعل ذلك بالإناث والذكور خشية الفقر، كما هو ظاهر الآية". [٢]

وذكر منذر بن سعيد أن الإملاق الإنفاق، يقال: أملق ماله بمعنى أنفقه. [٣] . وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:" لما أوصى الله بالوالدين والأجداد عطف على ذلك الإحسان إلى الأبناء والأحفاد، فقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ﴾[٤]وذلك أنهم كانوا يقتلون أولادهم كما سولت لهم الشياطين ذلك، فكانوا يئدون البنات خشية العار، وربما قتلوا بعض الذكور خشية الافتقار، ولهذا ورد في الصحيحين[٥] من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ، أنه سأل رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أي الذنب أعظم؟ قال «أن تجعل لله نداً وهو خلقك» قلت: ثم أي؟ قال «أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك» قلت: ثم أي؟ قال: «أن تزاني حليلة جارك» ثم تلا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ﴾[٦]."[٧].

فإذا حرم الله قتل الأولاد بدون وجه حق، فغيرهم من باب أولى، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لاَ يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، إِلَّا بِإِحْدَى ثَلاَثٍ: النَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالمَارِقُ مِنَ الدِّينِ التَّارِكُ لِلْجَمَاعَةِ "[٨].

---

(١)سورة الأنعام: [١٥١].

(٢)الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي (ج٧/ص ١٣٢)

(٣) المرجع السابق

(٤)سورة الأنعام: [١٥١].

(٥) رواه البخاري: كتاب تفسير القرآن (ج٦/ص ١٨/رقمه٤٤٧٧) و مسلم: كتاب الإيمان (ج١/ص٩٠/رقمه٨٦).

(٦)سورة الفرقان: [٦٨]

(٧) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (ج٣/ص ٣٦١)

(٨) رواه البخاري: الديات(ج٩/ ص٥/رقمه٦٨٧٨)، و مسلم: كتاب القسامة (ج٣/ص ١٣٠٢/رقمه١٦٧٦)

وبعدما أوصى الله بحفظ أرواح الأولاد عطف على ذلك الأمر بحفظ الأرواح عموماً إلا بحقها، فقال تعالى:﴿ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ قال ابن سعدي:"وهي: النفس المسلمة، من ذكر وأنثى، صغير وكبير، بر وفاجر، والكافرة التي قد عصمت بالعهد والميثاق. ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ كالزاني المحصن، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة"[(١)].

فالإسلام حافظ على الأرواح، وحرم قتلها إلا بحقها، ونظم المجتمع على احترام الحقوق والواجبات، داخل المجتمع المسلم وخارجه، وهذا ما يجب أن يتربى عليه ناشئة المسلمين منذ نعومة أظفارهم، فهذه الوصايا في كتاب الله عز وجل تؤكد على أن حفظ الأرواح، ومراعاة كل أمر يؤدي إلى انتهاكها محرم بدين الله وعهده الذي عهده إلى بني آدم، وهو من الأمور العظيمة التي يتربى عليها الأجيال ويعرف به فضل هذا الدين، وميزته التي ميزه الله بها في الدنيا والآخرة .

فالدين الإسلامي أمر يحفظ الأرواح المسلمة، كما يحفظ أرواح من لهم عهد أو ذمة عند المسلمين.

والله أعلم.

❊.❊.❊

---

(١)تيسير الكريم الرحمن (ص: ٢٨٠).

المبحث الثالث:

أسس تربوية في اجتناب الفواحش.

الفواحش:جمع فاحشة، وهي كل ما تناهى في الفحش، واشتدّ قُبْحُه، ومنه "فحَش كلامه وفي الحديث: «مَا كَانَ الفُحْشُ فِي شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ »(١) "(٢).

"الفواحش هي الذنوب الكبار التي في النفوس داع إليها"(٣) .

والله عز وجل وصى بعدم القرب من الفواحش والبعد عنها، واستخدم في ذلك كلمة ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا ﴾ وهي أبلغ من كلمة الترك، إذ أن الترك قد يكون بعد المواقعة، أما عدم الاقتراب منها، فإنه يكون بالبعد عنها، وعن الأسباب والوسائل المؤدية إليها.

قال ابن سعدي:" ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ ﴾ وهي: الذنوب العظام المستفحشة، ﴿ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ أي: لا تقربوا الظاهر منها والخفي، أو المتعلق منها بالظاهر، والمتعلق بالقلب والباطن.

والنهي عن قربان الفواحش أبلغ من النهي عن مجرد فعلها، فإنه يتناول النهي عن مقدماتها ووسائلها الموصلة إليها"(٤).

هذه الوصايا العشر العظيمة فيها تربية على أهم ما يجب مراعاته في تربية الأجيال، ومن ذلك تأسيسهم على مراقبة الله —عز وجل– في الظاهر والباطن، وعبادته بالإحسان، والمراقبة والمشاهدة المبنية على العقيدة الصحيحة، وتقوى الله، والعمل بما أمر به، وتنظيم العلاقات على التقوى، والعمل الصالح، ومنها البعد وعدم القرب مما نهى الله عنه من الفواحش الظاهرة والباطنة.

والفواحش الظاهرة: كل ما عرفه الناس وظهر لهم مما فحش واستقبح شرعاً، وما بطن من الفواحش: هو ماخفي على الناس ، هي التي لا يعلمها كثير من الناس.

وهكذا فإن التربية القرآنية تدعو إلى موافقة الظاهر للباطن، والبعد عن المنهي عنه في الظاهر والباطن على حد سواء، فكل أمر نهى الله عنه، أو نهى عنه رسوله ﷺ ؛ يجب الابتعاد عنه وتربية الأجيال المسلمة على اجتنابه، ومعرفة حكمه، وتقديس أمر الله، وعهده الذي عهد به إلينا ووصيته التي أوصى بها هذه

---

(١) رواه الترمذي: أبواب البر والصلة عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (ج٤/ص ٣٤٩/رقمه١٩٧٤) وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣ / ٣) رقم٢٦٣٥).

(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة، (ج٣ /ص ١٦٧٥).

(٣)تيسير الكريم الرحمن (ص: ٧٥٩).

الأمة، وميزها بها على سائر الأمم، فيجب تربية الأجيال وتعويد الناشئة على مراقبة الله في السر والعلن، منذ الصغر، وأن يتعلموا صفات الله التي منها علمه بالسرائر، وأنه لايخفى عليه خافية في الأرض، ولا في السماء، وأنه يجب على المسلم أن يوافق عمله قوله، وظاهره باطنه، ويوافق شرع الله الذي شرعه لخلقه، ويتابع في أعماله وأقواله وأفعاله سنة المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لأن العمل لا يقبل إلا بشرطين هما:

الإخلاص لله في العمل ، بتوحيده بالنية والقصد والعمل، ومجانبة الشرك بجميع أنواعه وأشكاله ووسائله وسبله وطرقه.

والثاني: متابعة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كل صغيرة وكبيرة.

والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان خلقه القرآن كما أخبرت بذلك أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عندما سئلت عن خلق رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقالت: "كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ، أَمَا تَقْرَأُ الْقُرْآنَ، قَوْلَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [1] [2] " وكان أبعد الناس عن الفحش، وما يشين الأخلاق، فعن عَبْدِاللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ، قَالَ: " لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاحِشًا وَلاَ مُتَفَحِّشًا، وَكَانَ يَقُولُ: «إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلاَقًا»[3].

" أي: ناطقاً بالفحش، وهو الزيادة على الحد في الكلام السيء، والمتفحش المتكلف؛ لذلك أي: لم يكن له الفحش خلقاً ولا مكتسباً"[4].

والتربية الصالحة هي التي توافق ما جاء به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الأخلاق الحميدة، والصفات الحسنة، والحياء والأدب، وهي التي تصلح بها الأجيال، ويربى عليها الناشئة. والله أعلم.

..*

(١)سورة القلم: [٤].

(٢)رواه أحمد (ج٤١/ص ١٤٨/رقم٢٤٦٠١).

(٣) رواه البخاري،كتاب المناقب(ج٤/ص ١٨٩/رقمه٣٥٥٩) و مسلم، كتاب الفضائل (ج٤/ص ١٨١٠/رقمه٢٣٢١)

(٤)فتح الباري لابن حجر (ج٦/ص ٥٧٥).

المبحث الرابع:
أسس تربوية في الأمانة وآداء الحقوق إلى أهلها.

القرآن العظيم منهج رباني ودستور تربوي شامل كامل، يربي الناشئة على الفضائل والمكارم من الأخلاق، وتأدية الحقوق إلى أهلها، ومن الحقوق العظيمة التي اعتنى الله بها في الوصايا العشر ؛ حقوق الأيتام، بحيث وصى بحفظها مع مراعاة مصالحهم في ذلك وتسليمها إليهم إذا بلغوا سن الرشد، ولُمسَ منهم العقل وحسن التصرف فيها، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾ لا تقربوه "بأكل، أو معاوضة على وجه المحاباة لأنفسكم، أو أخذ من غير سبب. ﴿إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ أي: إلا بالحال التي تصلح بها أموالهم، وينتفعون بها. فدل هذا على أنه لا يجوز قربانها، والتصرف بها على وجه يضر اليتامى، أو على وجه لا مضرة فيه ولا مصلحة.

﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ﴾ اليتيم ﴿أَشُدَّهُۥ﴾ أي: حتى يبلغ ويرشد، ويعرف التصرف، فإذا بلغ أشده، أُعطي حينئذ مالُه، وتصرف فيه على نظره.

وفي هذا دلالة على أن اليتيم -قبل بلوغ الأشُد- محجور عليه، وأن وليه يتصرف في ماله بالأحظ(١)، وأن هذا الحجر ينتهي ببلوغ الأشُد"(٢).

" قال الشعبي ومالك: الأشد: الحلم، حتى يكتب له الحسنات وتكتب عليه السيئات. قال أبو العالية: حتى يعقل وتجتمع قوته.

وقال الكلبي: الأشد ما بين الثمانية عشرة سنة إلى ثلاثين سنة. وقيل: إلى أربعين سنة. وقيل:إلى ستين سنة. وقال الضحاك: عشرون سنة. وقال السدي: ثلاثون سنة. وقال مجاهد: الأشد ثلاث وثلاثون سنة، والأشد جمع شد، مثل قد وأقد، وهو استحكام قوة شبابه وسنه، ومنه شد النهار، وهو ارتفاعه، وقيل: بلوغ الأشد أن يؤنس رشده بعد البلوغ، وتقدير الآية: ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن على الأبد حتى يبلغ أشده، فادفعوا إليه ماله إن كان رشيداً"(٣).

ثم بعد الوصية بحفظ مال اليتيم، وصى بحفظ حقوق الناس المادية والمعنوية، على وجه العموم، فقال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا

(١) الأحظ: بمعنى: الأحوط. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (١ / ١٥٧) .

(٢)تيسير الكريم الرحمن (ص: ٢٨٠).

(٣)تفسير البغوي (ج٢ / ص١٧١)وانظر تفسير الطبري (ج١٢ /ص ٢٢١).

قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[١]

قال أبو جعفر: " يقول تعالى ذكره: لا تبخسوا الناس الكيلَ إذا كلتموهم، والوزنَ إذا وزنتموهم، ولكن أوفوهم حقوقهم. وإيفاؤهم ذلك، إعطاؤهم حقوقهم تامة.

﴿بِٱلْقِسْطِ ﴾، يعني بالعدل، وعن مجاهد: ﴿بِٱلْقِسْطِ ﴾ ، بالعدل.

وأما قوله: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ فإنه يقول: لا نكلف نفسًا، من إيفاء الكيل والوزن، إلا ما يسعها فيحلّ لها ولا تحرَجُ فيه، وذلك أن الله جل ثناؤه، علم من عباده أن كثيرًا منهم تَضيق نفسه عن أن تطيب لغيره بما لا يجبُ عليها له، فأمر المعطي بإيفاء رب الحق حقَّه الذي هو له، ولم يكلِّفه الزيادة، لما في الزيادة عليه من ضيق نفسه بها. وأمر الذي له الحق، بأخذ حقه، ولم يكلفه الرضا بأقل منه، لما في النقصان عنه من ضيق نفسه. فلم يكلف نفسًا منهما إلا ما لا حرج فيه ولا ضيق"[٢]..

"وبهذه الآية ونحوها استدل الأصوليون، بأن الله لا يكلف أحداً ما لا يطيق، وعلى أن من اتقى الله فيما أمر، وفعل ما يمكنه من ذلك، فلا حرج عليه فيما سوى ذلك.

﴿وَإِذَا قُلْتُمْ ﴾ قولاً تحكمون به بين الناس، وتفصلون بينهم الخطاب، وتتكلمون به على المقالات والأحوال.

﴿ فَٱعْدِلُوا۟ ﴾ في قولكم، بمراعاة الصدق في من تحبون ومن تكرهون، والإنصاف، وعدم كتمان ما يلزم بيانه، فإن الميل على من تكره بالكلام فيه أو في مقالته من الظلم المحرم.

بل إذا تكلم العالم على مقالات أهل البدع، فالواجب عليه أن يعطي كل ذي حق حقه، وأن يبين ما فيها من الحق والباطل، ويعتبر قربها من الحق وبُعدها منه.

﴿ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ﴾ وهذا يشمل العهد الذي عاهده عليه العباد من القيام بحقوقه والوفاء بها، ومن العهد الذي يقع التعاقد به بين الخلق. فالجميع يجب الوفاء به، ويحرم نقضه والإخلال به.

﴿ ذَٰلِكُمْ ﴾ الأحكام المذكورة ﴿ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ ما بيّنه لكم من الأحكام، وتقومون بوصية الله لكم حق القيام، وتعرفون ما فيها، من الحكم والأحكام. "[٣].

وهذه المعاني في هذه الآيات فيها أسس تربوية عظيمة، يجب على المربين تربية النفوس عليها، وتدريبها على التوطين على العمل بها، وذلك بتعليمها للأجيال منذ نعومة أظفارهم، وتعويدهم عليها وتذكيرهم بها، حتى يكبروا على الأخلاق الفاضلة والعدل والإنصاف، وإعطاء كل ذي حق حقه. والله أعلم.

---

(١)سورة الأنعام: [١٥٢].

(٢)تفسير الطبري (ج١٢ / ص٢٢٥).

(٣)تيسير الكريم الرحمن (ص: ٢٨٠).

الفصل الثالث: أسس تربوية منهجية،

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول:
أسس تربوية في لزوم السنة.

نصوص الكتاب والسنة كل لا يتجزأ، فلا يمكن أن يفصل القرآن عن السنة النبوية، ولا تصح التربية إلا بنصوص الكتاب والسنة، وأفضل وأصح طرق التفسير بعد تفسير القرآن بالقرآن هو تفسير القرآن بالسنة، " فما أُجْمل في القرآن في مكان، فإنه قد فسر في موضع آخر، فإن لم يفسر بالقرآن وجب تفسيره بالسنة، فإنها شارحة للقرآن وموضحة له، بل قد قال الإمام أبو عبدالله مُحَمَّد بن إدريس الشافعي، رَحِمَهُ ٱللَّهُ :كل ما حكم به رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو مما فهمه من القرآن. قال الله تعالى:﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ﴾[١]، وقال تعالى:﴿ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾[٣].

وقد جاء في الوصايا العشر الأمر إتباع صراطه المستقيم ودينه القويم، الذي لا اعوجاج فيه ولا انحراف؛ وتربية النشء عليه وترويض النفس على لزومه، قال تعالى:﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣ ﴾[٤]

"ولما بين كثيراً من الأوامر الكبار، والشرائع المهمة، أشار إليها وإلى ما هو أعم منها، فقال: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا ﴾[٥] ".

ولهذا قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ يَنْثَنِي شَبْعَانًا عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ: عَلَيْكُمْ

(١)سورة النساء: [١٠٥].

(٢)سورة النحل: [٤٤].

(٣)سورة النحل: [٦٤].

(٤)سورة الأنعام: [١٥٣].

(٥) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٢٨٠) .

بِالْقُرْآنِ، فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ » [١] "يعني: السنة. والسنة منزلتها عظيمة، وهي من الله مثل القرآن؛ إلا أن القرآن لقارئه أجر بكل حرف، كما في الحديث"[٢] «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا».[٣] أما السنة، فإنه لا يتعبد بقرأتها، وإنما يتعبد بالعمل بها، فإن العامل بالسنة له أجر العمل الصالح، وله أجر اتباع السنة، فالسنة تفسر القرآن، فإن لم يوجد فيها ما يفسره، كان الأولى الأخذ عن الصحابة؛ لما شاهدوا من القرائن والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، والعمل الصالح، لا سيما علماؤهم وكبراؤهم، كالخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين، وعبدالله بن مسعود، رضي الله عنه وكالأئمة الأربعة والعلماء الربانيين من علماء السنة على امتداد العصور.

فسنة النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ عصمة من البدع، والخرافات، والشبهات، والشهوات، وهي سفينة النجاة كما قال الإمام مالك بن أَنس رحمه الله تعالى: (السنَّة سَفينةُ نوح مَن رَكبَها نجا ومَن تَخَلَّفَ عنها غَرِقَ) [٤].

وقال:"إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ فَانْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ، فقد أدْرَكْت سبعين وأشار بِيَدِّهِ إِلَى مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلُّهُمْ يَقُولُ: قَالَ. فُلَانٌ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمْ آخُذْ عَنْهُمْ شَيْئًا، وَلَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ أُؤْتُمِنَ عَلَى بَيْتِ مَالٍ لَكَانَ بِهِ أَمِينًا، وَكَانَ يَقْدُمُ عَلَيْنَا ابْنُ شِهَابٍ الزُّهْرِيُّ فَنَزْدَحِمُ عَلَى بَابِهِ"[٥].

ومن الأسس التربوية التي يجب أن يتربى عليها الأطفال ، ويشب عليها الشباب ، ويشيخ عليها الكهول؛ تعلم السنة والعمل بها، وهي مما أوصى به الله نبيه ﷺ في هذه الوصايا العشر العظيمة، فهي صراط الله المستقيم، الذي من سار عليه وصل، وسفينة النجاة التي من ركبها نجا من الغرق في تلاطم أمواج الفتن، فيجب على المربين تعليم الأجيال أهمية السنة، وعظمتها، وسير الأعلام الذي تعلموها وحفظوها وعملوا بها، ومحاسبة كل من يتجاوز السنة، وينشيء بدعاً من تلقاء نفسه، والحرص كل الحرص على سنة المصطفى صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وصحابته الكرام، وسلف الأمة من الأئمة الإعلام، عبر العصور والأيام، حتى بلوغ المرام، في جنة الملك العلام.والله أعلم.❊.❊.❊

---

(١)رواه أبو داود، كتاب: السنة (٥ / ١١/ رقم٤٦٠٤) والترمذي، كتاب: العلم(٣/٤٦٧/رقم٢٦٦٣و٢٦٦٤) وابن ماجة في المقدمة(١/٣١/رقم١٢) وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (١/ ٥٧) رقم(١٦٣ -[٢٤]).

(٢)الوجيز في عقيدة السلف الصالح أهل السنة والجماعة، للأثري، (ج٢/ص ٢٠٧).

(٣)رواه الترمذي،أبواب فضائل القرآن (ج٥/ص ١٧٥/رقمه٢٩١٠) وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي (رقم/ ٢٩١٠)

(٤)ذم الكلام وأهله للأنصاري الهروي (ج٥/ص ٨١).

(٥) المرجع السابق (ج٥/ ص٨٢).

المبحث الثاني:

أسس تربوية في التحصين ضد البدع.

تحصين النفوس والنشء ضد البدع والشبهات، لا يقل أهمية عن التعليم، فهو أهم من التحصين ضد الأوبئة، فالأوبئة أقصى ما يقع بسببها فوات مصلحة دنيوية خاصة وذلك بالموت، أما البدع والشبهات، فإنها تفوت مصالح دنيوية وأخروية، وفوات مصلحة دنيوية وخاصة أهون من فوات مصلحة في الدنيا والآخرة وعامة تضر بالمجتمع المسلم مثل البدع التي تضيع معالم الدين، وقد حض الله على لزوم الدين والاعتصام بالسنة، ومعرفة مداخل أهل الشر وأساليبهم، والبعد عن الخصومات في الدين، وهذه من أعظم الأسس التربوية التي نصت عليها الوصايا العشر، ففي قوله تعالى: ﴿ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ نهي عن البدع الشركية والوسائل المؤدية إليها، ويتبعها كل أمر محرم نهى الله عنه، أو كل أمر حلال أمر الله به، فقد تضمن نهي عن ضده، وعما يؤدي إليه.، ففي قوله﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا ﴾[(١)] أمر بالعدل، وأعظم العدل في عبادة الله وحده، وتجنب الابتداع في دينه، وقوله: ﴿ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ﴾[(٢)]وأعظم ما يجب الوفاء به ميثاق الله الذي أخذه على الأمم بتوحيده في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾[(٣)].

وقال في آخر آية من الوصايا العشر: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[(٤)]وهذه وصية جلية في النهي عن البدع ووجوب التحصن عنها بالعلم الشرعي النافع، وسد طرقها وسبلها، وعن عبدالله قال: خطَّ لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يومًا خطًّا، فقال: هذا سبيل الله. ثم خط عن يمين ذلك الخطّ وعن شماله خطوطًا فقال: هذه سُبُل، على كل سبيل منها شيطانٌ يدعو إليها. ثم قرأ هذه الآية: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[(٥)].

"وعن ابن عباس قوله: ﴿ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾، وقوله: ﴿ أَنْ أَقِيمُوا

---

(١)سورة الأنعام: [١٥٢].

(٢)سورة الأنعام: [١٥٢].

(٣) سورة الأعراف: [١٧٢].

(٤)سورة الأنعام:[١٥٣].

(٥)رواه أحمد(٢/١٤٤/رقم٤١٤٢) والطيالسي (١ / ١٢٩/ رقم٢٤١) والنسائي في الكبرى(١١١٧٤/رقم١٩٤) والحاكم (٣١٨/٢).وقال الحاكم:(صحيح الإسناد) وقال الألباني في مشكاة المصابيح (١/ ٥٨/رقم١٦٦-[٢٧](حسن).

ﭐلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ ﴾(١)، ونحو هذا في القرآن. قال: أمر الله المؤمنين بالجماعة، ونهاهم عن الاختلاف والفرقة، وأخبرهم أنه إنما هلك مَنْ كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله. وروى الطبري عن مُحَمَّد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: {ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله} [الأنعام: ١٥٣] ، قال: «البدع والشبهات»(٢).

وعن أبان: أن رجلا قال لابن مسعود:" ما الصراط المستقيم؟ قال: تركنا مُحَمَّد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أدناه، وطرفُه في الجنة، وعن يمينه جوادٌّ، وعن يساره جَوَادٌّ، وثمَّ رجال يدعون من مرّ بهم. فمن أخذ في تلك الجوادِّ انتهت به"(٣).

قال أبو جعفر: "وذلك أن الله تعالى ذكره قد أمر باتباع سبيله، كما أمر عباده الأنبياء. وإن أدخل ذلك مُدْخِلٌ فيما أمر الله نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يقول للمشركين: ﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْۖ ﴾ ، وما أمركم به"(٤)..

فالتحصن بنصوص الشرع ضد البدع، والشبهات، والشهوات لا يقل أهمية عن التعلم أصول الدين؛ بل هو جزء كبير من الدين، فلا يكتمل الدين إلا بمعرفة ما ينقضه يقدح فيه، والسؤال عن الأمور التي يجهلها، وتربية النشء على رد البدع والدفاع عن الدين، والتمسك به صافياً كما جاء به مُحَمَّد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهذه من صفات الصحابة ﷺ، ففي الحديث عن حُذَيْفَةَ بْنَ اليَمَانِ أنه كان يَقُولُ:" كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي"(٥).

وحذر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الابتداع في الدين، فقال: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ»(٦) .

وعند مسلم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»(٧).

فالمسلم يتعلم ما ينفعه، وما يدفع عنه الشر في دينه ودنياه، وكذلك يربي عليها أولاده وتلامذته؛ بل وتربية نفسه ويوطنها على لزوم الشرع ومحاربة البدع والمحدثات في دين الله.والله أعلم.

---

(١)سورة الشورى: [١٣]

(٢) رواه الطبري في تفسير (١٢ / ٢٢٩) وهو صحيح جميع رجاله ثقات وله طريق آخر.

(٣)تفسير الطبري (١٢ / ٢٢٩).

(٤)تفسير الطبري (١٢ / ٢٢٩).

(٥)رواه البخاري:كتاب المناقب (ج٤/ص ١٩٩/رقمه ٣٦٠٦) ومسلم: كتاب الإمارة (ج٣/ص١٤٧٥/رقمه١٨٤٧).

(٦) رواه البخاري: كتاب الصلح (٣ / ١٨٤/رقم٢٦٩٧) ومسلم : كتاب الحدود(٣ / ١٣٤٣/ (١٧١٨).

(٧)رواه البخاري:كتاب المناقب (ج٤/ص ١٩٩/رقمه ٣٦٠٦) ومسلم: كتاب الإمارة (ج٣/ص١٤٧٥/رقمه١٨٤٧).

المبحث الثالث:

أسس تربوية في صد الشبهات.

الشبهات جمع شبهة، والشبهة ما تردد الناس فيه بين الحل والحرمة، ولم تكن واضحة هل هي حلال أو حرام[١]، فلهذا لا يعرفها كثير من الناس، ولا يدركون حكمها؛ وأما العلماء، فيعرفون حكمها بنص أو قياس أو استصحاب أو غير ذلك، فإذا تردد الشيء بين الحل والحرمة، ولم يكن فيه نص ولا إجماع اجتهد فيه المجتهد، فألحقه بأحدهما بالدليل الشرعي، فإذا ألحق به صار له حكم أحدهما، وقد يكون دليله غير خال من الاحتمال البين.

والورع تركه عملاً بحديث: «إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ، وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»[٢].

وترك الشبهات والحذر من مواقعتها مما يساعد على حماية للدين، والعرض، وقد أوضح النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك بضرب المثل بالحمى، ثم بين أهم الأمور التي تساعد على البعد عن الشبهات، وأهمها رعاية القلب وصيانته من التغير والتقلب، فقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ألا وإن في الجسد مضغة**...» إلى آخره فبين صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن بصلاح القلب يصلح باقي الجسد، وبفساده يفسد باقيه؛ وأما قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :« **الحلال بين والحرام بين**». "فمعناه أن الأشياء ثلاثة أقسام: حلال بين واضح لا يخفى حله كالخبز والفواكه والزيت والعسل والسمن ولبن مأكول اللحم وبيضه وغير ذلك من المطعومات، وكذلك الكلام والنظر والمشي وغير ذلك من التصرفات التي الحلال فيها بين واضح لا شك في حله، وأما الحرام البين فكالخمر والخنزير والميتة والبول والدم المسفوح، وكذلك الزنى والكذب والغيبة والنميمة والنظر إلى الأجنبية وأشباه ذلك؛ وأما المشتبهات، فمعناه: أنها ليست بواضحة الحل، ولا الحرمة، فلهذا لا يعرفها كثير من الناس، ولا يعلمون حكمها.

وأما العلماء، فيعرفون حكمها بنص أو قياس أو استصحاب أو غير ذلك، فإذا تردد الشيء بين الحل والحرمة، ولم يكن فيه نص، ولا إجماع اجتهد فيه المجتهد، فألحقه بأحدهما بالدليل الشرعي، فإذا ألحقه به صار حلالاً، وقد يكون دليله غير خال عن الاحتمال البين، فيكون الورع تركه ويكون داخلاً في قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «فمن **اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه**». وما لم يظهر للمجتهد فيه شيء، وهو

---

(١) انظر عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١ / ٢٩٩).

(٢) رواه البخاري كتاب الإيمان (ج١/ص٢٠/رقمه٥٢)، ومسلم كتاب المساقاة (ج٣/ص ١٢١٩/رقمه١٥٩٩)

مشتبه. فهل يؤخذ بحله أم بحرمته أم يتوقف فيه ثلاثة مذاهب: حكاها القاضي عياض وغيره، والظاهر أنها مخرجة على الخلاف المذكور في الأشياء قبل ورود الشرع وفيه أربعة مذاهب: الأصح أنه لا يحكم بحل ولا حرمة ولا إباحة ولا غيرها، لأن التكليف عند أهل الحق لا يثبت إلا بالشرع، والثاني: أن حكمها التحريم، والثالث: الإباحة، والرابع : التوقف. والله أعلم"[١].

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فقد استبرأ لدينه وعرضه**». أي حصل له البراءة لدينه من الذم الشرعي، وصان عرضه عن كلام الناس فيه قوله ﷺ : « **إن لكل ملك حمى وإن حمى الله محارمه**» معناه أن الملوك من العرب وغيرهم يكون لكل ملك منهم حمى يحميه عن الناس، ويمنعهم دخوله، فمن دخله أوقع به العقوبة، ومن احتاط لنفسه لا يقارب ذلك الحمى خوفاً من الوقوع فيه، ولله تعالى أيضًا حمى وهي محارمه: أي المعاصي التي حرمها الله، كالقتل، والزنى، والسرقة، والقذف، والخمر، والكذب، والغيبة، والنميمة، وأكل المال بالباطل، وأشباه ذلك، فكل هذا حمى الله تعالى، من دخله بارتكابه شيئًا من المعاصي، استحق العقوبة ومن قاربه يوشك أن يقع فيه، فمن احتاط لنفسه لم يقاربه ولا يتعلق بشيء يقربه من المعصية، فلا يدخل في شيء من الشبهات.[٢]

هذه القواعد مما يجب أن يعلمه المربون والمعلمون للأجيال، وأن يرشدوهم إلى الاحتياط للدين والدفاع عنه، والبعد عما يقدح في صفائه ونقائه، من البدع والشبهات والمعاصي والشهوات، وأن يكون القرآن العظيم دستورهم الذي يقتبسون من نوره أسسهم التربوية، في تعلم الدين ودفع ما يؤدي إلى تحريفه والبعد عنه، من سد الذرائع ، وإغلاق أبواب الشر عنه، وعن أهله، والالتزام بنصوصه في كل صغير وكبير، في الاعتقاد والعبادات والمعاملات والسلوك والمناهج.

فالقرآن كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، فيجب على جميع المسلمين حفظ حدوده أشد من حفظ حروفه، فلا يتجاوز المسلم آية منه إلا بعد معرفة أحكامها، والعمل بها كما كان فعل الصحابة رضوان الله عليهم، ذلك الجيل الذي تربى في المدرسة النبوية، وقرن العلم بالعمل، فعلم وعمل، وهي التربية الإسلامية الصحيحة، فالدين الإسلامي دين؛ كامل شامل لكل جوانب الحياة ، ولكل شؤون العباد، ولجميع فئات المجتمع وطبقاته، ويرعى كافة شؤونهم ومصالحهم.

..*

(١)عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١ / ٢٩٩).

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي (ج١١/ص ٢٨).

الخاتمة

الحمد لله الذي تتم بفضله الصالحات، الذي امتن علي بالمشاركة في هذا الملتقى المبارك ، بهذا البحث في أسس تربوية من أعظم وصية من الله عز وجل أوصى بها نبيه ﷺ ، وعلى الأيام التي قضيتها مع آيات عظيمة من كتاب الله عز وجل ، أستنير بنورها، وأستظل بظلها واقتطف زهرات فواحة من حدائقها الوارفة وها أنا على أبواب الخاتمة في هذا البحث الممتع وقد خلصت إلى النتائج التالية:

١. أن هذه الآيات تشمل مجالات ، ومنها المجالات التربوية في النفس والأجيال.
٢. شمول الوصايا العشر لكل النواحي التربوية العقدية والأخلاقية والسلوكية.
٣. أن جميع السبل في التربية والتعليم الصحيح تعود إلى الكتاب والسنة.

وفي الختام نقتطف من هذه الآيات أهم الوصايا التي اخص بها نفسي ومن يقرأ هذا البحث، وهي:

الوصية الأولى: أوصي نفسي ومن يقرأ هذا البحث بتقوى الله عز وجل .

الوصية الثانية: حفظ كتاب الله قولاً وعملاً، بأن يقرن بالحفظ للحروف العمل بالحدود والأحكام.

الوصية الثالثة: زيادة البحث في آيات الوصايا العشر وما فيها من أسس التربوية، في أبحاث علمية أكاديمية، تجمع فوائدها وتلم أسسها في دراسة شاملة كاملة.

الوصية الرابعة: زيادة العناية بالأبحاث التربوية من كتاب الله عز وجل وإنشاء الكراسي البحثية لذلك.

والله أسأل أن يوفق المسؤولين في هذا الملتقى المبارك لكل ما فيه الخير، وأن يسدد على طريق الحق خطاهم، وأن ينفع بهذه الوريقات من كتبها ومن يقرأها إنه ولي ذلك والقادر عليه.

والله أعلم.

المراجع

١. القرآن الكريم.

٢. إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد،المؤلف : صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان،الناشر:مؤسسة الرسالة،الطبعة : الطبعة الثالثة، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م

٣. الاعتصام،المؤلف: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ)،تحقيق: سليم بن عيد الهلالي،الناشر: دار ابن عفان، السعودية،الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ

٤. تحفة المودود بأحكام المولود،المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)،المحقق: عبد القادر الأرناؤوط، الناشر:مكتبة دار البيان،دمشق،الطبعة: الأولى، ١٣٩١هـ

٥. تفسير القرآن العظيم،المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)،المحقق: سامي بن محمد سلامة،الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع،الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ .

٦. التمهيد لشرح كتاب التوحيد،المؤلف: صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، ،الناشر: دار التوحيد،الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٧. تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي،المؤلف: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ)،حققه وعلق عليه: يوسف علي بديوي،الناشر: دار ابن كثير، دمشق - بيروت،الطبعة: الثالثة، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م

٨. تهذيب اللغة،المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)،المحقق: محمد عوض مرعب،الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت،الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

٩. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان،المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)،المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ .

١٠. جامع البيان في تأويل القرآن،المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)،المحقق: أحمد محمد شاكر،الناشر: مؤسسة الرسالة،الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ .

١١. الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي،المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)،تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش،الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة،الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م

١٢. الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي،المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)،الناشر: دار المعرفة - المغرب،الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

١٣. الدر المنثور،المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)،الناشر: دار الفكر - بيروت
١٤. ذم الكلام وأهله،المؤلف: أبو إسماعيل عبد الله بن مُحَمَّد بن علي الأنصاري الهروي (المتوفى: ٤٨١هـ)،المحقق: عبد الرحمن عبد العزيز الشبل،الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة،الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ -١٩٩٨م
١٥. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها،المؤلف: أبو عبد الرحمن مُحَمَّد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)
١٦. سنن ابن ماجه،المؤلف: ابن ماجة أبو عبد الله مُحَمَّد بن يزيد القزويني،(المتوفى: ٢٧٣هـ)،تحقيق: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي،الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.
١٧. سنن أبي داود، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، المحقق: مُحَمَّد محيي الدين عبد الحميد
١٨. سنن الترمذي،المؤلف: مُحَمَّد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)،تحقيق وتعليق:أحمد مُحَمَّد شاكر -ومُحَمَّد فؤاد عبد الباقي ،وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف،الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي — مصر،الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ -١٩٧٥
١٩. السنن الكبرى،المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)،حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي،أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط،قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي،الناشر: مؤسسة الرسالة — بيروت،الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م
٢٠. شعب الإيمان، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)،١،قه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد،أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي — الهند،الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ.
٢١. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية،المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)،تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار،الناشر: دار العلم للملايين — بيروت،الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ.
٢٢. صحيح البخاري،المؤلف: مُحَمَّد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: مُحَمَّد زهير بن ناصر الناصر،الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي)،ط١.
٢٣. صحيح وضعيف سنن الترمذي،المؤلف: مُحَمَّد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)التحقيقات الحديثية من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.

٢٤. صحيح، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)،المحقق: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي،الناشر: دار إحياء التراث العربي — بيروت
٢٥. الصواعق المرسلة الشهابية على الشبه الداحضة الشامية،المؤلف: سليمان بن سحمان بن مصلح بن حمدان بن مصلح بن حمدان بن مسفر بن مُحَمَّد بن مالك بن عامر الخثعمي ، التبالي ، العسيري ، النجدي (المتوفى: ١٣٤٩هـ)،الناشر: دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية.
٢٦. العرش، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: مُحَمَّد بن خليفة بن علي التميمي، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
٢٧. عمدة القاري شرح صحيح البخاري ،المؤلف: أبو مُحَمَّد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: ٨٥٥هـ)الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت
٢٨. غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب،المؤلف : شمس الدين، أبو العون مُحَمَّد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى : ١١٨٨هـ)،الناشر : مؤسسة قرطبة — مصر،الطبعة : الثانية ، ١٤١٤ هـ .
٢٩. فتح الباري شرح صحيح البخاري،المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي،الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ،رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي،قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب،عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن باز.
٣٠. الفوائد،المؤلف: مُحَمَّد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)،الناشر: دار الكتب العلمية — بيروت،الطبعة: الثانية، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م.
٣١. كتاب الأفعال،المؤلف: علي بن جعفر بن علي السعدي، أبو القاسم، المعروف بابن القَطَّاع الصقلي (المتوفى: ٥١٥هـ)،الناشر: عالم الكتب،الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.
٣٢. كتاب العين،المؤلف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)،المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي،الناشر: دار ومكتبة الهلال.
٣٣. لسان العرب ،المؤلف: مُحَمَّد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)،الناشر: دار صادر — بيروت،الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.
٣٤. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير،المؤلف: أحمد بن مُحَمَّد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)،الناشر: المكتبة العلمية — بيروت.
٣٥. المعجم الكبير،المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)،المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي،دار النشر: مكتبة ابن تيمية — القاهرة،الطبعة: الثانية،دار الصميعي - الرياض / الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.

٣٦. الوجيز في عقيدة السلف الصالح (أهل السنة والجماعة)،المؤلف: عبد الله بن عبد الحميد الأثري، مراجعة وتقديم: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ،الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية،الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ،

٣٧. المستدرك على الصحيحين، المؤلف: أبو عبد الله الحاكم مُحَمَّد بن عبد الله بن مُحَمَّد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا

٣٨. مسند الإمام أحمد بن حنبل،المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن مُحَمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)،المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون،إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي،الناشر: مؤسسة الرسالة،الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م.

٣٩. مسند أبي داود الطيالسي، المؤلف: أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصرى (المتوفى: ٢٠٤هـ)المحقق: الدكتور مُحَمَّد بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر — مصر.

٤٠. مشكاة المصابيح، المؤلف: مُحَمَّد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، ولي الدين، التبريزي (المتوفى: ٧٤١هـ)المحقق: مُحَمَّد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت

٤١. معالم التنزيل في تفسير القرآن،المؤلف: محيي السنة، أبو مُحَمَّد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ)،المحقق: حققه وخرج أحاديثه مُحَمَّد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع،الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م .

٤٢. معجم اللغة العربية المعاصرة،المؤلف: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل،الناشر: عالم الكتب،الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.

٤٣. معجم ديوان الأدب،المؤلف: أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي، (المتوفى: ٣٥٠هـ)،تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر،مراجعة: دكتور إبراهيم أنيس،طبعة: مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرةعام النشر: ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م

٤٤. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج،المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)،الناشر: دار إحياء التراث العربي — بيروت،الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ

❊.❊.❊

فهرس الموضوعات